صدق التوحيد والحنين إلى صاحب الأمر

في وصيّته لولده، قال السيد ابن طاووس* رحمه الله «وأوصيك ياولدي "..." بالصّدق في معاملة الله جلّ جلاله ورسوله صلى الله عليه وآله، وحفظ وصيّتهما بما بشّرا به من ظهور مولانا المهدي عليه السلام».

لا يصدُق القلب في توحيد الله تعالى إلاّ إذا عبده سبحانه كما أراد هو جلّ ثناؤه. وقد أراد أن يقترن بالإعتقاد الحب، فحبُّ الله تعالى واجب. حبُّ الحقِّ واجب. وأيُّ شوبٍ بالباطل شركٌ وهو ظلم عظيم.

علامة صدق الإعتقاد بالله تعالى والصّدق في الحب، الوقوف بباب الحبيب المصطفى.

ولا وقوف بباب المصطفى إلاّ بصدق الوقوف مع أهل البيت وإمام الزمان منهم بشكل خاص.

نكتشف صدق التّوحيد فينا من خلال علاقتنا بوليّ الله تعالى، صاحبِ الأمر الإلهيّ الذي يتنزّل في ليلة القدر.

من علامات التوحيد الكاذب

كلّ علامة تدلّ على عدم الصدق في العلاقة بإمام الزمان، هي علامةٌ على الكذب في ادّعاء توحيد الله تعالى.

قال السيد ابن طاوس رحمه الله: «وجدت القول والفعل من كثير من الناس في حديثه عليه السلام، مخالفاً للعقيدة من وجوه كثيرة». ثم يعدّد رحمه الله ما خلاصته الآتي:

لو فقد الذي يدّعي الإعتقاد بالإمام المهدي سيارة أو مبلغاً من المال، أو ساعة أوغير ذلك، فتجده قد «تَعلّق خاطره وظاهره بطلب ذلك الشيء المفقود، وبذَل في تحصيله غاية المجهود»، في حين أنه لايحمل معشار هذا الهمّ لطول غيبة وليّ الله تعالى، وعدم ظهوره لإصلاح الإسلام والإيمان، وقطع دابر الكفّار وأهل العدوان. «فكيف يعتقد مَن يكون بهذه الصفات أنه عارفٌ بحقّ الله جلّ جلاله وحقّ رسوله ﷺ ومعتقدٌ إمامة إمام زمانه»، فضلاً عن أن يدّعي المبالغة في ولايته أو الحنين إليه عليه السلام.

يريد السيد رحمه الله تعالى أن يؤكّد هنا مبدأ الشّوق إلى وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والحنين إليه.

أليس عنوان العلاقة بالمصطفى الحبيب وعترته صلى الله عليه وعليهم، هو الحب؟ أوليس الحبّ الصادق للحبيب هو الذي يتجذّر مع البُعد، ويزداد رسوخاً وتوهجّاً بل وتوقّداً؟

كم هي قصائد العشّاق تتلظّى حرقة والتياعاً سواءً في «البين» والبعد عن الحبيب، أم «الفراق» وتمنّي «الوصال»؟ وكم هي قصص المحبّين زاخرة بضرم الحب والحنين والحسّرة والأنين؟

هل تجد أيها القلب في سويدائك أو الزوايا شيئاً من وَله المحبّين؟ أم أنّ قيس ليلى وجميل بثينة وأضرابهما أصدق منك حبّاً وولهاً وشغفاً بالوصال؟!!

نَحِّ يا قلب عنك برقع وهم الحب. أحبب! تعلّم من المحبّين كيف يكون الحنين إلى العطر المحمديّ.

لقد وجد يعقوب ريح يوسف لمّا فصلت العير، فهل تدّعي أنّك وصلتَ إلى صاحب المصر والعصر المَهديّ، ولم تجد ريح محمّد رسول الله وخير خلقه عزّ وجلّ؟!!

إنْ وجَدت العطر المحمَديّ، بل شذىً منه واحداً، سترّدد مع الشيخ البهائي:

لا تلوموني على فرط الضّجرْ
ليس قلبي من حديد أو حجرْ
فات مطلوبي ومحبوبي هجرْ
والحشّا في كلّ آنٍ في اشتعالْ!!
من رأى وجدي لسكّان الحَجونْ
قال ما هذا هوىً، هذا جنونْ
أيها اللُّوام ماذا تبتغونْ
قلبيَ المُضنى وعقلي ذو اعتقالْ

من قصيدته العصماء، أنظر: الكشكول ج1 / 303.

يقضّ مضجعَ الحبيب أصلُ الغياب، فكيف بطول الغياب؟

منيةُ النفس إنْ نأى عن سواد العين
لم ينأ عن سويدا الفؤاد

* هو العالم العابد الزّاهد السيد علي بن موسى بن جعفر، المعروف بالسيّد ابن طاووس، صاحب المصنّفات الجليلة، مثل «إقبال الأعمال» و «جمال الأسبوع» و «اللهوف في قتلى الطفوف» وغيرها. وقد حرّر رحمه الله وصية لولده السيد محمد، سمّاها «كشف المحجّة لثمرة المهجة»، ومنها الإقتباس في مستهلّ هذا المقال.

وكيف هو حال من لم يكحّل ناظره ولو بنظرة؟

لم يفز ناظري بنظرة منه
في رقادي وأين مني رقادي

أمّا صاحب هذه النّدبة، الشاعر النّجفي الأعسم، فيجيب ببيان حاله:

بين جنبيَّ جذوةٌ تتلظّى
مُهجتي فوق حرّها الوقّادِ
أين منها الخمودُ هيهاتْ
إلا بلقا من لقاه أقصى مرادي!

هل في هذا القلب من ذلك عينٌ أو أثر؟ ولِمَ التّكلف ـ إذاً ـ والتّملّق ؟ إلاّ أن يكون تملّق الوصول إلى الحب، لا ادّعاءه. أللهم ارزقنا.

إن سرى في القلب وجيبُ الحبّ، ففي أيّ درجة كان، لا تكتفِ بما أسبغ عليك الله تعالى من نعمة حبّه عبر حبّ وليِّه صاحبِ الأمر المتنزّل في ليلة القدر. واصل الجهد ليتلاطم في أرجاءِ القلب الوجيب، ويعصف بكل ذرّة من الكيان، ويجلجلَ حتى يرقّ الزّجاج ويرقّ الشّراب، فلا قلب. وهل يملك المحبّ مع حبيبه ميلاً لقلبه ورغبة إلاّ بما أراد الحبيب ومعه؟ أو ليس هذا دليلاً على أنّ قلب المحبّ للحبيب؟ القلب ساحة الذّوبان في الحبيب والتّفاني فيه. تعرف الأمُ كيف تحب، وكلُّ حديث عن حبّ سواها فإنّما هو كهذا الحبّ الذي ندّعي.

الحب الضعيف لله تعالى يُنذرُ ببالغ الخطر وسوءِ المرجع والمنقلب، إلاّ في حالة واحدة: أن يكون مدخلاً للتّشبه بالمحبّين، وطلبِ الحب الذي أخلى سرّهم من كل سرّ، إلاّ سرّ الحبيب: «**عميت عين لاتراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً**».

ومن قال إن حبّ المهدي وجدِّه ونفسه وأمّه وآبائه، هو غير حبّ الله تعالى؟ ومن قال إنّه هو؟ ألم يطرق سمعك: «**لنا مع الله حالات..**» وهو سبحانه هو. وهُمْ هم. عبادٌ مكرمون.

هل إليك يا ابن أحمدَ سبيلٌ فتُلقى؟
هل يتّصل يومنا منك بعدةٍ فنحظى؟

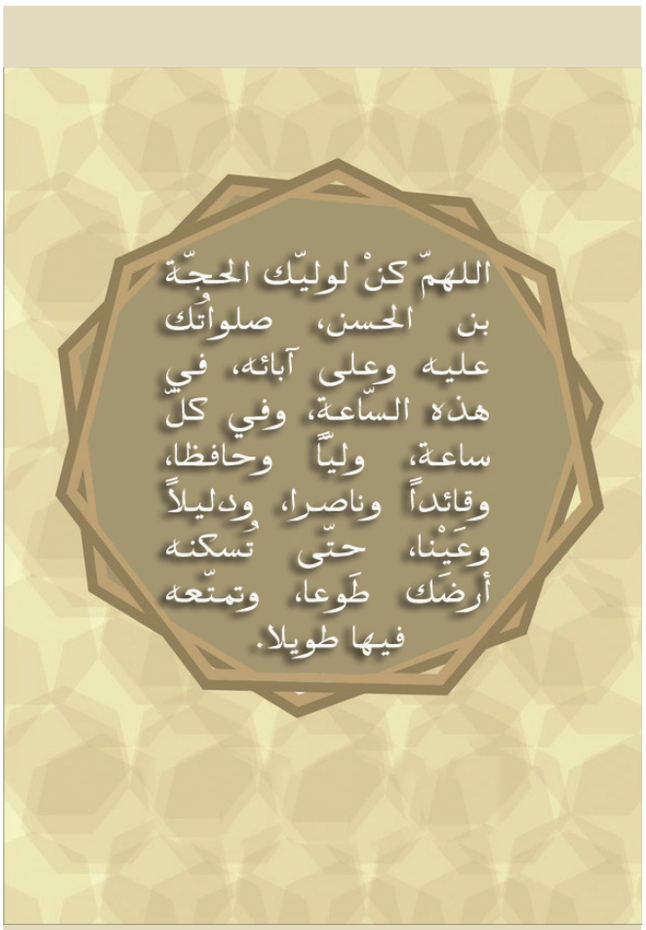

ركعتان
يومياً هدية إلى
الإمام المهدي عليه السلام:

من وصايا المختصّين، صلاة
ركعتين يوميّاً بهذه النيّة:
«هدية إلى الإمام المهدي عليه السلام،
بنيّة قضاء حوائج المصلّي للدّين
والدنيا».